مجلة ميلاف للبحوث والدراسات
ISSN : 2392 - 5361
المجلد 4 العدد 1 / جوان 2018

Mila Univ center. Publish. Co..

جمالية القصيدة الرقمية : قراءة في قصيدة الخروج من رقيم البدن لــ"عبد المنعم الأزرق "

The aesthetic of the digital poem: Learn in poem get out of the humming of the hull by AbdelMoneim Al-Azraq

سعـــاد عياش
طالبة دكتوراه المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف-ميلة-

د. حنان بومالي
المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف-ميلة-

تاريخ الاستلام: 2017/10/10 تاريخ التعديل: 2018/06/02 تاريخ قبول النشر: 2018/06/27

الملخص :

تسعى هذه الدراسة إلى توضيح كيفية استغلال الشاعر عبد المنعم الأزرق تقنيات الرقمنة لإيصال المضمون الشعري المراد التعبير عنه في قصيدته "الخروج من رقيم البدن".المندرجة ضمن الأدب الرقمي الذي أوجد لنفسه خصائصا –إثر اتصاله بالتكنولوجيا– تضمن له الفرادة و التميز ، وقد رصدنا من خلال هذه الدراسة الآليات المعتمدة من طرف الشاعر لإيصـــال المعنى الشعري و توضيح رؤيته للعدم، حيث درسنا اللغة المقروءة(تشكيل اللغة المقروءة) و الصورة المرئية(تشكيل الصورة و الألوان و حركة الجمل) و الموسيقى المسموعة(التشـــكيل السمعي)، فقد اتحدت كل هذه العناصر فيما بينها و انصهرت في بوتقة واحدة لإنتاج الدلالة الشعرية و تعميق رؤية الشاعر الفنية، و قد اعتمد الشاعر تقنية الوسائط المتعددة للتعبير عن إحساسه بالضياع في عالمه المادي، فكما عبرت القصيدة الورقية باعتماد اللغة المقروءة فقـــد عبرت القصيدة الرقمية باعتماد تقنيات الرقمنة و لكل من النوعين ظروف استدعتهما.

الكلمات المفتاحيـــة: الجمالية، القصيدة الرقمية، تقنيات الرقمنة، الوســـائط المتعـــددة، الحاسوب.

Abstract:

This study seeks to explain how the poet Abdel-Moneim Al-Azraq uses digitization techniques to convey the poetic content to be expressed in his poem " get out of the humming of the hull ", which is part of the digital literature that created its own characteristics. During this study, the mechanisms adopted by the poet to convey the poetic meaning and to clarify his vision of non-existence. We studied the reading language (visual language formation), the visual image (image formation, color and camel movement) and audio music. Among them and fused into Bo The poet adopted the technique of multimedia to express his sense of loss in his material world. As the paper poem passed through the adoption of the spoken language, the digital poem passed through the adoption of digitization techniques, and each of the two types had their own circumstances.

Keywords: *aesthetic, digital poem, digitization techniques, multimedia, computer.*

تمهيد:

شهدت الحياة المعاصرة ثورة هائلة في ميدان الاتصال و تكنولوجيا المعلومات، وتأتي الشبكة العنكبوتية على رأس هذه الإنجازات، فأضحت عنصرا حيويا طال جميع مجالات الحياة، منها الاجتماعية والسياسية و الأدبية، و لقد عرفت هذه الأخيرة بروز عدة مصطلحات و مفاهيم كالأدب المعلوماتي و الأدب الافتراضي، و الأدب التفاعلي والأدب الرقمي، وكلها مصطلحات تصبّ في قالب مفهومي واحد يشير إلى تأثير التكنولوجيا على الأدب.

ولقد أدى تطور تقنيات الشبكة المعلوماتية و ما تقدمه من خدمات إلى بروز أشكال أدبية جديدة، تجمع بين الخصائص الأدبية الفنية و الخصائص التقنية الرقمية، لتؤكد لنا مرة أخرى على العلاقة الجدلية بين الحياة و الأدب، الذي لم يسلم من التطورات التي مست الحياة عامة. و من بين هذه الأجناس الأدبية التي مثلت التغييرات الحاصلة في الخطاب الأدبي، بعد دخوله عالم المعلوماتية، الأدب الرقمي –نثرا و شعرا– حيث ظهرت عدّة أنواع أدبية رقمية كالشعر الرقمي .

و قد شاب مصطلح الأدب الرقمي لبسا، و صعوبة في طريقة التعامل معه، لكونه مازال وليدا في طور النمو، تتجاذبه الرؤى و الآراء، في التجربة العربية و الغربية

على حد سواء، فتعددت مسمياته بتباين الرؤى و اختلاف الثقافات، ففي أمريكا يستعمل مصطلح النص المترابط HyperText، و في أوروبا يستعمل مصطلح الرقميnumérique، و التفاعلي:interactif،أما في فرنسا أبتدئ باستعمال مصطلح الأدب المعلوماتي:informatique ، باعتبار أن هذا المصطلح شامل لكل الممارسات الفنية التي تحققت نتيجة العلاقة بين الأدب و الشبكة العنكبوتية، حيث عقد مؤتمر بباريس عام 1994م بعنوان الأدب المعلوماتي، عالج العلاقة القائمة بين الأدب والمعلوميات، ليظهر سنة2006م مصطلح الأدب الرقميlittérature numérique.

شهدت الساحة الأدبية منذ بداية سنة 1986م " ثورة رقمية مع بدايات النشر الإلكتروني الذي اعتمد الآليات المعلوماتية في عولمة النص الأدبي و رقمنته، و من ثم تحوير بناه و دعائمه الأساسية إلى وسائط تكنولوجية"[1]، و بالرغم من أن الشبكة المعلوماتية دخلت إلى الوطن العربي في مرحلة متأخرة، إلا أن الأدباء و النقاد سرعان ما خاضوا في هذا المجال، مقتفين أثر أدباء الغرب في هذا المضمار.خاصة في مجال الشعر الرقمي الذي شهد إقبالا من طرف المبدع و المتلقي، و من شعراء القصيدة الرقمية نذكر على سبيل المثال الشاعر "مشتاق عباس معن" الذي يعد أول من نظم قصيدة تفاعلية عام2007م، و هي مجموعة شعرية ، بعنوان "تبارح رقمية لسيرة بعضها أزرق، و الشاعر "عبد المنعم الأزرق الذي نشر مجموعة من القصائد على الشاشة الزرقاء من بينها(سيدة الماء، قالت لي القصيدة ضوءها العمودي، الخروج من رقيم البدن...)، إضافة إلى الشاعر يوسف البلوي(يا طيور الإنس غني..)، و الشاعر عبد النور إدريس(سيدة الياهو..)... و غيرهم من الشعراء. و التأمّل في واقع الشعر الرقمي يثبت أن هناك بعض المحاولات الرقمية لم يتعرّف عليها المتلقي بطريقة مناسبة، و ذلك راجع إلى قصور القائمين على النقد الرقمي المهتم أكثر بالجانب التنظيري .

لقد وضعَنا ارتباط الأدب بالتكنولوجيا موضع تساؤل ينمّ عن دهشة و إعجاب وتخوف من هذا الوليد الجديد، الذي ناهض الشعر الورقي فأضحى أكثر تعقيدا وحيوية، و فتح باب التأويل و التفاعل على مصراعيه، وهذا ما يجعلنا نتساءل عن مدى نجاعة هذا الشكل الجديد على مستوى الإنتاج و التلقي. خاصة أن القصيدة الرقمية أوجدت لنفسها خصائصَ جديدة تضمن لها التميّز و الفعالية.

أولا- الأدب الرقمي (المفهوم و الخصائص):

أدّى اختراع الحاسوب، و ظهور الشبكة العنكبوتية، و انتشار برامجها المختلفة إلى "دخول الإنسان مرحلة فكرية جديدة من شأنها أن تمنحه فرص إنتاج أجناس أدبية تتوشح بوشاح العصر، وما يوفره من إمكانات لبناء مستقبل رقمي ضخم"[2]. فعرف الأدب إثر تفاعله مع العالم الافتراضي زعزعة في مفاهيمه، و خلخلة في خصائصه، فظهرت أشكالا أدبية جديدة منها: الأدب الرقمي، الذي تغير في كنفه مفهوم النص" ليضم علامات أخرى غير الكلمة، تتجلى في الصورة الثابتة و المتحركة و الصوت، و في تحقيقها من خلال أنظمة حاسوبية تمنح المتلقي طاقات إنتاجية أكبر للتفاعل و التطور الإنتاجي،إذ تتساوى على إثرها فاعلية المبدع و المتلقي معا"[3].

1-مفهوم الأدب الرقمي: "جنس أدبي يجمع بين فنية الأدب وعلمية التكنولوجيا، و هو انعكاس طبيعي للمرحلة الجديدة التي يشهدها إنسان هذا العصر، بعد مغادرته عالمه الواقعي إلى عوالم افتراضية تتيحها الشبكة العنكبوتية ...هذا العصر الذي يدعوه "دوبرييه" عصر الصورة و الكتابة الرقمية"[4]. وسنسترسل في الحديث عن الشعر الرقمي بعدّه نوعا من أنواع الأدب الرقمي، و باعتباره موضوع الدراسة.

يعتمد النص الشعري الرقمي على التشكيل البصري للنص الشعري من خلال توظيف تقنية الوسائط المتعددة الملتيميدياmultimédia، كإضافة المؤثرات البصرية والمؤثرات الصوتية(الصور، الرسومات، الألوان، الموسيقى، الإضاءة، التلاعب بالخط...)، و كل هذه المظاهر هي مظاهر دخيلة على شعرنا العربي، خاصة أن الشعر الرقمي لا يقتصر على الكلمة، بل يستعين أيضا بالوسيط التكنولوجي، فيمنح للكلمة طابعها الحسي المجسّد، و بهذا انفتحت على أبعاد دلالية فنية جديدة، مما جعل من المتلقي مشاركا في صنع النص، حيث يستثمر هو أيضا برامج الحاسوب أثناء تلقيه لنص ما.

وعليه فالقصيدة الرقمية ولدت من رحم الحاسوب، و لن تلقى إلا عبر الوسيط الإلكتروني/الحاسوب، سواء ارتبط بشبكة الانترنت أم لم يرتبط بها، فهي تعتمد على التقنيات التي تتيحها التكنولوجيا من عناصر صورية و صوتية و سمعية، و تعرض على الشاشة الزرقاء، و نقلها على الورق صعب إن لم نقل مستحيلا، و إذا نقلت فستفقد الكثير من عناصرها الحيوية.

و قد سعت القصيدة الرقمية إلى إيصال المضمون شأنها شأن القصيدة الورقية، لكن "بآليات جديدة تمثل صورة العصر الآن، و أداته في المعرفة و التواصل و المنافسة تحت الصدمة و النكوص لقراءة هذا المستحدث في ضوء المرجعيات القارة المألوفة"[5]. فقد أوجدت آليات متعددة لإيصال المعنى الشعري و ذلك عن طريق: اللغة المقروءة والصورة المرئية و الموسيقى المسموعة. و كل هذه العناصر تتحد فيما بينها لإيصال المضمون.

و إذا تحدثنا عن النص الرقمي" الخاضع في بنائه للمواصفات الرقمية التي تجعله يختلف عن النص الشفهي أو المكتوب، فهو نص يتحقق من خلال شاشة الحاسوب، ويخضع لنظامه و تقنياته الخاصة، نجد داخل هذا النص يظهر مفهوم الترابط النصي المتجسد من خلال الروابط التي تتم داخل النص، و التي تسمح بالتنقل داخله"[6].

و يمثل النص المترابط العلاقة داخل نصية، و هو "إجراء معلوماتي يسمح بربط كلمة بأخرى أو فقرة أو أيقونة أو صورة بغيرها، كما تتيح للمستعمل إمكانية اختيار مساره القرائي الخاص"[7]. و يوحي هذا المصطلح أن هناك ترابط و تشابك بين وحدات النص المختلفة من علامات لغوية و غير لغوية..فأضحى النص الشعري أكثر فاعلية وحيوية.

2- مميزات النص المترابط الرقمي:

نتج عن نشر النص الأدبي على الشاشة الزرقاء، و استثمار الشاعر لتقنيات الحاسوب المتعددة إحداث تغييرات هامة على شكل و مضمون النص الشعري، فأكتسب خصائصَ جديدة تضمن له الفرادة و التميز، و من بين هذه الخصائص نذكر:

-**امتزاج الفنون:** نزعت النصوص الرقمية إلى توظيف تقنية الوسائط المتعددة "البصرية منها و السمعية من لون، خط، صور، موسيقى تعنى بالدرجة الأولى بجماليات المشهد واصطياد اللذة بلغة رولان بارث، مما أدى إلى امتزاج الفنون"[8]. فالقصيدة الرقمية تمتلك قيمة جمالية تسعى من خلالها إلى تعزيز "الإشارة اللغوية عبر إشارات غير لغوية، وبخاصة علاقة الشعر بالرسم، و الفن التشكيلي، فأفضل الشعر ما ازدحمت فيه الصور الفنية و كثرت و انسجمت مع الدلالة، و تراسلت الحواس فنيا و إبداعيا في رسم الصورة الأدبية على نحو إشاري تحقيقا للوظيفة الجمالية"[9].

فبات الشعر في كنف التكنولوجيا لوحة فنية قوامها الكلمة و الصورة و الصوت، وهذا ما يستحيل في النص الورقي ذو الطبيعة الخطية.

-**الدينامية:** إن استغلال عنصر الحركة و توظيفه في النصوص المختلفة منح النص صفته الدينامية، فانتقل من الشكل الاستيني الثابت الذي تميزت به النصوص الورقية، لتصبح النصوص ذات طابع دينامي متحرك، مما أضفى على النص طابعه المشهدي، لأن الكلمات و الحروف و الجمل تتناثر و تتشكل و تتبعثر و تتحرك أمام عين القارئ، مما يؤدي إلى خلق اللغة القادرة على إنتاج طاقة من خلال حركة الكلمات و توهجها ولمعانها و تشظيها، فتحمل بذلك شحنات تعبيرية كبيرة، و ليست الحركة مقصورة على النص المكتوب، فهناك حركة الصور و الأيقونات البصرية الأخرى، مما يجعل النص مشهدا يرى و يشاهد، و لا يقرأ فقط، كما أدّت الحركة إلى انهيار مبنى القصيدة، فلم يعد لها شكل هندسي ثابت[10]. و بهذا انعدمت خطية النص الشعري، ف"الوحدات التي تكون النص المترابط لا ترتبط بالضرورة مع بعضها البعض بشكل خطي ناتج عن توالي الفقرات و إنما بشكل شبكي"[11].

-**البعد اللعبي:** لقد سيطرت على القصيدة الرقمية الطبيعة اللعبية، مما جعل القارئ" لا يهتم بالمعنى قدر اهتمامه بالشكل، بترابط الأخبار و الإمكانيات البصرية والصوتية، و بالبعد التكنولوجي للواسطة مجربا ولوج النص من هذه الوحدة "[12].

- **الارتباط (التناص الالكتروني الرقمي):** تحقق داخل القصيدة الرقمية التناص الإلكتروني، حيث أقامت القصيدة الرقمية، علاقات مع علامات غير لغوية، فأتاحت تقنية النص المرتبط إمكانية ربط النص الظاهر بنصوص أخرى عديدة، مما"منح النص صفة الارتباط و هي إحدى أشكال التناص، لكن ثمة فرق بين التناص الورقي والرقمي، فالنص الورقي يقيم علاقات تناصية مع نصوص لغوية فقط، في حين أن النص الرقمي يمكن أن يقيم علاقات مع علامات غير لغوية...فصار إلى جانب الملفوظ المسموع والمرئي، فالنص لا يتفاعل مع نصوص شفاهية أو مكتوبة فقط، بل مع نصوص من أنظمة علامات أخرى غير لسانية"[13].

- **تعدد مفاتيح التأويل:** انفتح النص الشعري كما ذكرنا آنفا على معالم مختلفة مثلتها الصورة و الصوت و الحركة، ف"انفتحت معه مفاتيح التأويل، لتشمل جميع العناصر السمعية و البصرية المرافقة، فتصبح الحركة ذات معنى و الألوان ذات دلالة، و الخط

ذا قيمة ، و لم يعد الشعر بحاجة لجهد تمثيلي، طالما أن اللغة من المنظور الجديد قادرة على استحضاره ليُلمس و يُسمع و يُرى، أي ليُدرك في مظاهر حسية، فحلّت البلاغة الآلية محل الاستعارة القديمة في محاولة لمواكبة الجديد في حقل التواصل"[14].

ثانيا- قراءة في "قصيدة الخروج من رقيم البدن" لـ عبد المنعم الأزرق:

تندرج قصيدة الخروج من رقيم البدن ضمن القصيدة البصرية الرقمية ، فلا يمكن تلقي هذه القصيدة إلا عبر الوسيط الإلكتروني ، فهي اعتمدت على تقنيات تتيحها الشاشة الزرقاء من عناصر صورية و صوتية و بصرية، و هذا ما يؤكد لنا استحالة نقلها إلى الورق، و إن نُقلت فستفقد حيويتها، لفقدانها الكثير من عناصرها الأساسية التي استمدّت كينونتها منها، فهي وجدت أساسا لتعرض على الشاشة الزرقاء. و قد حاول الشاعر باعتماد تقنية الوسائط المتعددة توضيح رؤيته للعدم، و أكدّ على ضرورة التحرر من سجن البدن، الذي يعدّ بؤرة للّذات و الشهوات، فعبّر في قصيدته عن ثنائية المادة(الجسد) و الروح، و قبل أن نشرع في تحليل العناصر غير اللغوية على اعتبار أنها أهم سمة تتسم بها القصيدة الرقمية، وجب علينا الوقوف عند عتبة العنوان و لو وقفة قصيرة.

1.قراءة في عنوان القصيدة و مضمونها :

اختار الشاعر عبارة "الخروج من رقيم البدن" عنوانا لقصيدته، و يشير هذا المركب اللغوي إلى رغبة الشاعر في تحرير الجسد من قبضة الروح؛ لأن الشيء الوحيد الذي يخرج من الجسد هو الروح. و الخروج مصدر يدل على الحدث المتحرر من الزمن، كما يحمل معنى الانتقال من مكان إلى آخر، و التحرر من سلطة المكان، و اعتناق المجهول، أما اللفظة الثانية التي نصطدم بها، هي لفظة "الرقيم" و ترجع إلى المادة رقم: الرقم و الترقيم : تعجيم الكتاب، يرقمه رقما أي أعجمه و بيّنه، و كتاب مرقوم؛ بمعنى بينت حروفه بعلاماتها من التنقيط....[15]

و الرقيم هو اللوح و به فُسّر قوله تعالى (أم حسبتَ أنَّ أصحاب الكهفِ و الرقيمِ كانوا من آياتنا عجبا)(سورة الكهف الآية 9)، و قد أُختلف في تفسير معنى الرقيم، فهناك من اعتبره اللوح الذي خطّت عليه أسماء أهل الكهف و قصتهم و بالتالي هو "الكتاب"[16]، وقد قيل أنه اسم الجبل الذي كان فيه الكهف، و قيل أيضا هو اسم القرية التي كانوا فيها و الأرجح أن يكون الرقيم هو اللوح.

و وردت لفظة الرقيم في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة الكهف.

و قد بينت اللفظة اللغوية الموالية معنى الخروج و طبيعة الرقيم، ألا و هي البدن أي الجسد، فإذا اعتبرنا أن الرقيم هو اللوح؛ أي قطعة خشبية يكتب فيها و يُحفظ كل ما نقش عليها من رسومات و كلمات..؛ أي يُحبس فيها ما كتب عليها، و إذا أسقطنا هذا "على الجسد" نخلُص إلى أن الجسد لوح يحفظ شيئا ما في ثناياه و يمنعه من الخروج ألا و هو الروح.. و من هنا تتجلى علاقة المشابهة و التشاكل بين الرقيم و البدن، فالرقيم يحفظ كل ما نقش عليه، و البدن كذلك يحفظ الروح و يمنعها من الخروج، إلى أن يأذن لها المولى عزّ وجل بالتحرر في أجل مسمى، فتنفلت عنه و تخرج باحثة عن الحقيقة المطلقة و الخلود الأبدي، و هذا ما حاول الشاعر توضيحه من خلال قصيدته.

يعدّ "الجسد سجنا للنفس يعوق انطلاقها لصيد الحقيقة، و هناك ما يراه شيئا ماديا لا يترك الروح تصل إلى أصلها الرباني"[17]. فالجسد هو قبر النفس يجب التحرر منه للوصول إلى الحقيقة المطلقة و الهدوء و السكينة، و قد أكّد الطرح الأفلاطوني السقراطي أن مهمة الجسد تختلف عن مهمة النفس" فالجسد منجذب نحو الملذات..بيد أنّ النفس تواقة للعلم و الحكمة، و يحمل هذا التصور ثنائية واضحة، كما أن فيه إعلان تفوق النفس و رفعتها على الجسد و ضرورة تحكم الأول في الثاني، فالحياة إذن موت للنفس، و لهذا يجب أن نعكس الآية بأن نتعلم كيف نموت"[18].

لقد حاول الشاعر من خلال قصيدته توضيح رؤيته للعدم و كيفية التحرر من سجن البدن، المادي الفان، عن طريق توسل تقنية الوسائط المتعددة إلى جانب اللغة المكتوبة. افتتح الشاعر قصيدته بقوله:

"الخـــــروج من رقيم البدن
كأن لم أكن
نطفة
تتهيأ للكون
موتا....."[19].

نستشف من هذا المقطع أن الشاعر شبّه كيفية الخروج و التحرر من رقيم البدن الذي يعدّ بؤرة للشهوات و اللّذات و المعاصي، و هذا الخروج يتمثل في الموت والانتهاء أي العدم بنطفة تتهيأ للموت، فكأن الشاعر لم يكن موجودا أي لم يكن نطفة،

وقد قال تعالى في كتابه الحكيم (خَلق الإنسانَ من نُّطفة فإذا هو خصيمٌ مبـينٌ) سـورة النحل:الآية4.

فالإنسان قبل أن يخرج من ظلمات الرحم إلى نور الحياة كان نطفـة تتهيـأ للحيـاة والخروج إلى النور، لكن الشاعر يرى في قصيدته أن النطفة تتهيأ عند تشكلها للموت لا للحياة، فلحظة الوجود تمثل لحظة الاستعداد للموت، و بالتالي فالعـدم و المـوت هـو مصير الإنسان المحتم و المقرر سلفا قبل ولوجه إلى الحياة.

يواصل الشاعر التعبير عن إحساسه بالضياع و التيه في عالمه المادي، باحثا عـن الخلود محاولا الوصول إلى الحقيقة المطلقة، و لا يتسنى له ذلك إلاّ إذا تحرر من سجن البدن فيتحرر من ماضيه و حاضره ليعانق المجهول أي العدم.

"كأن الذي صار
كان جناحا
لرؤيا
اشتبهت بها
فاشتعلتُ بشاهقها حبسةً
و احترقت
لتنثرني راقمات القصيدة
سرب قواف يبدد بيت الوثن"[20].

نلمس من هذه الأسطر الشعرية أن الشاعر أحس بزعزعة هزّت كيانـه، فتملكتـه نزعة تشاؤمية ملؤها الضياع و التيه و الرغبة في الانسـلاخ عـن المـادة، و عنـدما تحررت الروح من قبضة البدن تناثرت هنا و هناك كما تتناثر حروف الشـاعر علـى جسد القصيدة، فذات الشاعر احترقت و تناثرت رمادا تشكّل سربا من القوافي نُظمـت عليها قصيدته، و هنا إشارة إلى فكرة حرق جسد الإنسان بعد موته–شاعت في بعـض الديانات كالبوذية– اعتقادا أن حرق الجسد يحرر الروح تحريرا أبديا يضمن لها الخلود، و بالتالي هدم بيت الوثن ألا و هو الجسد.

"نعمة الحي أن يستفيق من العشق
أن يستعير من الموت
ما عتقته الشقوق

على حجر اللّيس

.....

تلك الكنوز يسمونها

كاتمات الزمن"[21]

تعد الحياة نعمة قد تتحول إلى نقمة، كما عبر عن ذلك الشاعر عندما حذف كلمة نعمة و أحلّ محلها كلمة نقمة بسرعة فائقة، كما أن شهوات و ملذات الجسد تكتم الزمن أي تقضي عليه و ترمي بصاحبه في غياهب اللبس ؛ أي العدم.

و عندما نسترسل في قراءة القصيدة تستوقفنا تساؤلات يطرحها الشاعر منبعها إحساسه بالضياع و التيه في هذه الحياة المليئة بالمآسي حيث قال:

"....."

إلى أين؟

حتى م...؟"[22]

و قبل أن يطرح الشاعر تساؤلاته وضع نقاط حذف تعبيرا منه عن قلق وجودي وفراغ نفسي عاطفي، و على متلقي القصيدة أن يملأ ذلك الفراغ بما يراه مناسبا.

فإلى أين نمضي. و حتى(م ..) نلاحظ أن هناك حذف و الأرجح أن الكلمة المحذوفة تقدر بـــ " متى"، و يحمل هذا التساؤل معنى الخوف من المجهول، و محاولة الهروب و التملص من الحياة المادية المليئة بالمآسي الناجمة عن اللذات و المعاصي، وعليه وجب تحرير الروح من سجن الجسد لتحلق عاليا، بحثا عن الحقيقة.

2. التشكيل البصري في القصيدة:

حاول الشاعر من خلال قصيدته توضيح رؤيته للعدم، و التأكيد على ضرورة الانفلات من سجن البدن، فتحدث عن ضياعه و اغترابه النفسي، و قد تضامنت مجموعة من العناصر لتوضيح هذه الرؤية، حيث لعب اللون دورا هاما و بارزا في تلقي القصيدة. حيث يعدّ عنصرا من عناصر التشكيل البصري استدعاه المبدع لتعميق رؤيته الفنية، فأكتسب قدرة إيحائية عالية لما له من بعد فكري و نفسي، فقد وظفه الشاعر ليجعل" الأشكال و الألوان و الأفكار تترابط جميعا مع بعضها بعلائق مؤلفة نظاما بنائيا طوبولوجيا"[23]. و على متلقي النص أن ينتبه إلى الصور و الرسومات

والألوان المصاحبة للعلامة اللغوية و عليه دراستها بعد أن"صارت القصيدة جسما طباعيا متفاعلا مع التقنيات الجديدة، و متأثرا بها"[24].

أ.جمالية التماهي اللوني في القصيدة:

تعد الألوان ملمحا جماليا في "الشعر العربي منذ القدم، فرغم افتقار الصحراء العربية للألوان إلاّ أن نصوص الشعر العربي القديم جاءت حافلة بالدلالات اللونية، ربما كان ذلك تعويضا عن جذب الواقع و جفاف الصحراء، لذا عنى العربي عناية فائقة بالألوان"23.و قد اشتدت هذه العناية في الشعر الرقمي، و هذا ما ألفيناه في قصيدة الخروج من رقيم البدن، لكن حضور الألوان فيها كان حضورا سلبيا متوازيا مع مضمون النص الشعري، فإذا أمعنا النظر في الألوان المستخدمة في القصيدة نلفيها ألوانا حزينة نوعا ما توحي بالضياع و الحزن و الذهول و التشاؤم، و هناك رابط خفي متين بين الدلالة و الألوان و الصورة و الموسيقى، فقد لعبت الألوان كمؤثر بصري دورا لا يستهان به في لفت انتباه المتلقي و بالتالي تفعيل عملية التلقي، حيث يحس متصفح القصيدة كأنه داخل كهف مظلم بألوانها السلبية، فلم يعتمد على ألوان تبعث" على الفرح و التفاؤل، بل تعبر عن التشتت و الضياع و عدم الاستقرار و الحزن و الملل والوحدة"[25].

لقد استخدم الشاعر الألوان بتناسق و تناغم مع العلامات اللغوية، و متوازية مع دلالة النص العامة، فتماهت الألوان و تداخلت،حيث نظم الشاعر قصيدته على خلفية سوداء قاتمة، و اللون الأسود كما هو متعارف عليه يدل "على الغموض و الغوص في الأعماق حيث الظلمة و العتمة"[26]. وعليه فالشاعر اعتمد اللون الأسود ليعبر عن ضياعه في هذا العالم الغامض المليء بالتناقضات، فلابدّ من الغوص في أعماق النفس والتماهي في عالم الروح الأبدي، الذي يعد مركزا للحقيقة المطلقة، لكي نعيش بهدوء وطمأنينة، ويحمل اللون الأسود في ثناياه الحزن و التشاؤم لعدم ميل النفس إليه، و لعل الشاعر اختار خلفية سوداء ليؤكد أن حالة السواد و الغموض هي حالة ثابتة خيمت على الجو الكلي للقصيدة، حيث أحالت لنا هذه الحالة إلى كابوس كوني بعدم وجود لون، وفعلا لا يوجد في حياتنا لونا يبعث على الأمل و الهدوء و السعادة. و إذا أردنا أن نتحرر من مآسي الحياة لا بدّ أن نحرر الجسد من شهواته و رغباته و لذاّته، و بهذا تتضح لنا الرؤية، و يتبدّى الظلام نورا ، فقد كان الشاعر حكيما حينما أدرك ضرورة الخروج من

سجن البدن للوصول إلى الحقيقة الثابتة، فكثيرا ما يرمز اللون الأسود" إلى الخوف من المجهول و الميل إلى التكتم و لكونه سلبي..يدل على العدمية، ..و يرمز أيضا إلى الحكمة و الرزانة"[27]. و قد عمد الشاعر إلى أن يكون اللون الأسود لون خلفية الشاشة ليؤكد لنا أن حالة الحزن و الظلام و الضياع حالة ثابتة مصاحبة لقصيدته، و القراءة الواعية للقصيدة يثبت ذلك. و إذا تأملنا الخلفية نلحظ أن هناك كتلة حمراء تتوسط الشاشة يخترقها شعاع أبيض، و يعدّ كل من اللون الأحمر و الأبيض من الألوان المشعة، حيث إن اللون الأبيض يدلّ على "الإشعاع و الانطلاق" [28] و التحرر والانفلات من العالم المادي بحثا عن عالم أسمى أشد صفاء و أكثر سعادة، هذا ما ينشده الشاعر من خلال قصيدته، و اللون الأبيض نقيض اللون الأسود فإذا كان الأول يرتبط بالنور فإن الثاني يرتبط بالظلمة. أما اللون الأحمر فهو من "الألوان الساخنة المستمدة من وهج الشمس، و اشتعال النار، و الحرارة الشديدة.."[29]، و قد توسّل الشاعر هذا اللون للتعبير عن غضبه و سخطه على العالم المادي الواقعي الذي تحكمه اللذات و تسيطر عليه الماديات، حيث يؤكد لنا في كل مرة على ضرورة التحرر من سلطان البدن حيث قال:

"كأن

لم أكن نطفة تتهيأ للكون

موتا"[30]

يحس الشاعر بقلق من عالمه، و ضياع كما يحس بتفاهة و عبثية هذا العالم، فهو يحمل بداخله غضبا و قلقا يشاكل غضب و قلق الوجوديين، لذا اعتمد اللون الأحمر لما يحمل من معاني الغضب و القلق و الاشتعال ، و قد عبر عن هذا الضياع في قوله:

"....."

إلى أين؟

حتى م..؟"[31]

لقد تساءل الشاعر بغضب و قلق عن مصير الإنسان في خضم هدا الضياع الذي يعيشه من جراء إتباع اللذات و المعاصي..، و غالبا ما يمتزج اللون الأحمر مع اللون الأبيض في القصيدة، فتتمازج المعاني فيما بينها، و يختلط الإحساس بالضياع و الألم بالإحساس بالهدوء و الأمل، و كأن الشاعر يخبرنا أنه رغم المآسي و العذابات هناك

أمل، و هناك سعادة أبدية لن نتحصّل عليها إلا إذا خرجنا من رقيم البدن،كما وظّف الشاعر اللون الأصفر بكثرة، مستغلا دلالته لتوضيح رؤيته الخاصة و يعد اللون الأصفر" من أشد الألوان فرحا و أنه مثير للغاية، و مبهج، هذا اللون يمثل قمة التوهج والإشراق و يعدّ أكثر الألوان إضاءة و نورانية.. للون الأصفر دلالة أخرى تناقض الأولى، و هي دلالته على الحزن و الهم و الذبول و الكسل و الموت و الفناء، ربما هذه الدلالة ترتبط بالخريف، و موت الطبيعة و الفناء و الصحاري الجافة و صفرة وجوه المرضى"[32]. و لهذا اللون" انعكاسات نفسية متباينة بين اليبوسة و الجفاف و الشحوب إلى حالة الحصاد و جني الثمار.."[33]. فهو يمثل حالة من حالات الحياة.و الشاعر استغل اللون الأصفر ليعبر عن الوباء الذي حل بالإنسان إثر التبعية المادية، حيث قال:

"نعمة الحي أن يستفيق من العشق

أن يستعير من الموت

ما عتقته الشقوق على حجر الليس"[34]

يرى الشاعر أنه على الإنسان أن يستفيق من عشقه للحياة و لذاتها،حتى يتسنى له أن يعيش بسلام، فعشق الإنسان للذّات يحول دون وصوله إلى السعادة الأبدية و الحقيقة المطلقة، كما أن الموت أي موت البدن، و بالتالي العدم يحقق الخلود للروح، فإذا تحرر من المادة عاش بسلام و أدرك السعادة، و هذا ما يبرر استعمال اللون الأصفر وذلك للتعبير عن حالة العبوس و المرض الذي سببه سجن البدن.

"فاشتعلت بشاهقها حبسةً

و احترقت"[35]

تحمل هذه العبارة الشعرية معاني الاحتراق و الاشتعال و بالتالي الغضب والتضحية لأجل تحقيق السعادة و التحرر من هذا العالم البائس.

كما استعمل الشاعر اللون الرمادي الفاتح، و يعدّ لونا محايدا لا أبيض و لا أسود نتج عن دمجهما معا فهو يرمز إلى الحيوية و النور.. و يخلق إحساسا بالهدوء لأنه من "الألوان الشاحبة و اللينة و الرقيقة تعطي إحساسا بالهدوء و الطمأنينة"[36]، كما يخلق إحساسا بالخوف و الضياع و الحيرة، و قد جعل الشاعر عنوان نصه باللون الرمادي الفاتح ليعبر عن حالة نفسية ملؤها الاغتراب النفسي و الضياع في هذا الوجود، فاللون يبعث على الرتابة و الحزن.

ب-جمالية تشكيل الحركة في القصيدة :

استخدم الشاعر عنصر الحركة ليعبر بواسطتها عن معاني مختلفة، حيث "نجد أن بعض الكلمات والعبارات تتحرك في فضاء النص بكل الاتجاهات و بطريقة عشوائية، وهي بذلك تعبر عن تبعثر أفكار الشاعر و تشتته"[37]. و عن المعاني التي حاول الإفصاح عنها من خلال قصيدته، حيث عبّر عن" التيه و الشتات و عدم الاستقرار الذي يشعر به.. "[38].

لقد وزعت العناصر البصرية للنص من خلال الحركة، حركة الكلمات و الجمل في فضاء النص، هذا الفضاء لم يعد مساحة مثبتة جامدة على نحو ما نجده في الورق، بل صار فضاء شبه حركي لكلمات النص، و جمله الموزعة على الشاشة .."[39] هذه الأخيرة فقد توسطتها صورة متحركة تمثلت في كتلة حمراء تتحرك بشكل دائري بطيء نوعا ما، و في هذا إشارة واضحة إلى الدوامة و المتاهة التي يعيشها الشاعر في هذا العالم المادي المأساوي، كما انتشرت على الشاشة أرقاما تمثلت في الرقم واحد و الرقم اثنين،ولم يكن اختيار الشاعر لهذين الرقمين اعتباطيا و عفويا، بل كان اختيارا مقصودا، فالرقم واحد هو بداية الأشياء و الصفر هو اللاشيء أو العدم، و الحياة أساسا محصورة بين بداية و نهاية.

توزعت الكلمات و الجمل في فضاء النص الرقمي، لكن لم يكن هذا التوزيع متكافئا على كامل جسد القصيدة، فتارة تكون الكلمات و العبارات في الطرف و تارة في الوسط، و تارة تظهر في أعلى الشاشة أو أسفلها، و سنورد مقطعا شعريا يوضح كيفية توزيع الكلمات على الشاشة:

كأن
كأن لم أكن
نطفة
تتهيأ للكون
موتا.....
كأن الذي صار
كأن جناحا
لرؤيا

اشتبهت بها

ـــفـــاشتعلت بشـــاهقـــها حـــبسةً

و احترقت

لتنثرني راقمات القصيدة

سرب قواف

يـــبدد بيـــــت الـــوثن[40]

فالعبارات لم توزع وفق نظام واحد، بل وُزعت بطريقة غير متســـاوية، كمـــا أن طول العبارة الشعرية يختلف من سطر إلى آخر، فهناك عبارات طويلة نوعا ما، وهناك القصيرة جدا، و لعل الهدف من وراء هذا التلاعب في توزيع الكلمات على الشاشة هو لفت انتباه المتلقي، و تحسيسه بالضياع و التشتت الذي أحس به الشاعر، حيـــث نثـــرت القصيدة المتلقي كما نثرت الشاعر. فحدثت مشاركة وجدانية بين المتلقي والشاعر.

و قد وظف الشاعر عنصر الحركة بشكل متفاوت من حيث السرعة، فهناك بعـــض الجمل تتحرك بشكل تموجي بطيء نوعا ما و أخرى بشكل سريع، كما اعتمد الشـــاعر على تقنية التفكيك الجملي و التشتيت و إعادة التجميع من جديد، فهناك عبارات تظهـــر على الشاشة ثم تفكك كلماتها و تتناثر في كل الاتجاهات كبقع دم حمراء مثل عبارة (لم أكن) التي تشتت و تناثرت في كل الاتجاهات، و ذلك للتعبير عن الضـــياع و التشـــتت والعدم. كما في قوله(يبدد بيت الوثن). و في المقابل هناك كلمات تظهر كبقـــع حمـــراء تتماوج بشكل دائري أي بشكل دائرة مغلقة بعدها تتشكل الكلمات، و فـــي هـــذا إشـــارة واضحة إلى أن الحياة الدنيا عبارة عن حركة دائرية مغلقة حياة ثم موت. كما في قوله:

....."

تلك الكنوز يسمونها

كاتمات الزمن"[41]

كما أن هناك كلمات تظهر ثم تتمدد و تصعد إلى الأعلى تشبه في حركيتها طريقـــة انفلات و تحرر الروح من الجسد، كما في التساؤل المطـــروح فـــي القصـــيدة: إلـــى أين؟...حتى م..؟ بعد أن تتشكل هذه العبارة تصعد إلى أعلى الشاشة، و في هذا الصعود تكمن الإجابة عن التساؤل المطروح، فالوجهة ستكون نحو العدم و التشتت و الضياع ثم تنزل إلى الأسفل بشكل متموج ببطء متناغمة مع النغم الموسيقي المصاحب للقصيدة.

لقد اعتمد الشاعر بصدد تقديم قصيدته و توضيح رؤيته على اللعب البصري بالكلمة، و إضافة إلى التفكيك و التشتت، هناك بعض العبارات التي تسقط حروفها و تبدأ في التلاشي إلى حدّ الفناء ثم تتشكل من جديد:

"قالت لي وشوم القبيلة:

عدت"[42]

فحروف هذه العبارة تتساقط و هذا التساقط يحمل معاني أراد الشاعر إيصالها مثل الدمار و الانهيار و الانكسار.

كما لجأ الشاعر إلى التلاعب بالكلمات عن طريق تعويض كلمة محل كلمة أخرى:

نعمة الحي أن يستفيق من العشق

تتحول اللفظة" نعمة" بسرعة فائقة إلى "نقمة" لأن العشق على تنوعه لذّة مغموسة في الألم، فهو نعمة و نقمة في آن واحد.كثيرا ما يعجز الشاعر إثر ضياعه و إحساسه بالانكسار والألم، فيعتمد تقنية الفراغ حيث يكتفي بترك نقاط حذف يملأها المتلقي كيفما شاء..

3.التشكيل السمعي في القصيدة:

نقصد بالمستوى السمعي رصد الأصوات المصاحبة للقصيدة الرقمية، و يلاحظ متصفح القصيدة أن الشاعر انتقى مقطوعة موسيقية حالمة تتناغم و تتلاحم مع معاني القصيدة، و عباراتها، فغدت الموسيقى عنصرا حيويا داخل النسيج النصي، و خيطا منبين الخيوط التي تساهم في نسج القصيدة ف " الموسيقى هنا تلعب دورا جماليا أكثر منه تعبيريا، فتضفي مسحة من السحر و الإثارة على النص، و متعة أثناء تلقيه"[43]. وعليه فالموسيقى المعتمدة ذات نغم جنائزي حزين مناسبا لمعاني القصيدة.

صفوة القول:

عمد الشاعر عبد المنعم الأزرق إلى استثمار آليات متعددة لإيصال المعنى الشعري و توضيح رؤيته الخاصة إلى الوجود عامة، حيث اعتمد على تقنية الوسائط المتعددة، و قد وفق فعلا فيما ذهب إليه، فقد ألفينا عملا فنيا متكاملا، متضامن الأجزاء حيث تماهت الصورة و الصوت و الكلمة في بوتقة فنية واحدة، عبّر من خلالها كل جزء بطريقته الخاصة عن رؤية الشاعر الفنية، فاستمتعنا بلوحة فنية رائعة. و عليه فقد استطاعت

القصيدة الرقمية أن تعبر عن المعنى الشعري بطريقة مميزة مستوحاة من روح العصر، حيث استغلت التقنيات التي أتاحت لها التكنولوجيا في تشكيل الدلالة المراد التعبير عنها، و توضيح رؤية الشاعر الفنية الخاصة، فقد أضحى الشعر في كنف التكنولوجيا صورة متحركة و مرئية و مسموعة.

المراجع والاحالات:

[1] صفية علية: آفاق النص الأدبي ضمن العولمة،أطروحة دكتوراه(غير منشورة)،جامعة بسكرة، 2014م، ص38.

[2] فطيمة ميحي: البنية الدلالية للشعر التفاعلي الرقمي(تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق-نموذجا) مقاربة سيميو دلالية، رسالة ماجيستر(غير منشورة)، جامعة باتنة، د/ت ، ص22

[3] صفية علية: آفاق النص الأدبي ضمن العولمة، ص48

[4] فطيمة ميحي : البنية الدلالية للشعر التفاعلي الرقمي، ص23

[5] شفق يوسف جدوع، ناهضة ستار: اللغة العربية و الوسائط الإلكترونية: إشكالية الأدب الرقمي التفاعلي مثالا، (نص إلكتروني):

ص ص http.google.dz/?gws-rd.crfei=xy1hws7yhsnoapqwmjai.8.7

[6] لبيبة خمار: شعرية النص التفاعلي (آليات السرد و سحر القراءة)، رؤية سلسلة السرد العربي،د/ط، القاهرة،2014، ص36

[7] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

[8] إيمان يونس: تأثير الإنترنت على أشكال الإبداع و التلقي في الأدب العربي الحديث، جامعة تل أبيب، 2011م، ص 182

[9] شفق يوسف جدوع. ناهضة: اللغة العربية و الوسائط الإلكترونية ، ص8

[10] إيمان يونس: تأثير الإنترنت على أشكال الإبداع و التلقي في الأدب العربي الحديث، ص 182.

[11] لبيبة خمار: شعرية النص التفاعلي، ص 37.

[12] المرجع نفسه، ص 40.

[13] إيمان يونس: تأثير الإنترنت على أشكال الإبداع والتلقي في الأدب العربي الحديث، ص 183.

[14] المرجع نفسه، الصفحة نفسها

[15] ينظر ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف، د/ط، القاهرة، 2003م، ج15، مادة رقم، ص 208.

[16] ابن فارس : مقاييس اللغة،تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د/ط، ج2، 1979، مادة رقم ، ص425.

[17] محسن المحمدي: تصورات فلسفية متناقضة حول الجسد،19 ماي2016، https://aawsat.com/hom/article643591/

[18] المرجع نفسه.

[19] عبد المنعم الأزرق :قصيدة الخروج من رقيم البدنwww.youtube.com/watch?vi9krd5.ij5ow

[20] المصدر نفسه

[21] المصدر نفسه

[22] المصدر نفسه

[23] شفق يوسف جدوع. ناهضة ستار: اللغة العربية و الوسائط الإلكترونية ، ص 8.

[24] إيمان يونس: تأثير الإنترنت على أشكال الإبداع و التلقي في الأدب العربي الحديث، ص 117.

[25] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[26] أحمد عبد محمد حمدان : دلالات الألوان عند نزار قباني، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجيستر(غير منشورة)، فلسطين،2008م، ص28.

[27] المرجع نفسه،ص 29.

[28] شفق يوسف جدوع. ناهضة ستار: اللغة العربية و الوسائط الإلكترونية، ص24

[29] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[30] القصيدة

[31] القصيدة

[32] يوسف جدوع: اللغة العربية و الوسائط الإلكترونية المتعددة، ص 25

[33] أحمد عبد الله محمد حمدان : دلالات الألوان عند نزار قباني، ص27.

[34] القصيدة

[35] القصيدة

[36] ابن الحويلي الأخضر ميدني: الفيض الفني في سيميائية الألوان عند نزار قباني(دراسة سيميائية لغوية في قصائد من الأعمال الشعرية الكاملة)مجلة جامعة دمشق، ع3-4،مجلد21،2005 ، ص112.

[37] إيمان يونس: تأثير الإنترنث على أشكال الإبداع و التلقي في الأدب العربي الحديث، ص117.

[38] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[39] المرجع نفسه، ص120.

[40] القصيدة

[41] القصيدة

[42] القصيدة

[43] إيمان يونس: تأثير الإنترنت على أشكال الإبداع و التلقي في الأدب العربي الحديث، ص126.